بعد وفاته — اطال الله بقاه — انه كان محباً للأدب والعلم وخادماً لهما

ولكننا ما رأينا ان كرنيجي ابتنى مئآت والوفاً من المنازل الصغيرة لكي يؤجرها لفقراء البشر بنصف اجرة مثلاً . ولا اقام الفنادق العديدة التي تؤجر غرفها بقيم زهيدة للعمال المساكين الذين متى وقفت حركة العمل اضطروا ان يناموا متجولين في الشوارع او يتجولوا نائمين . ولا انشأ مطاعم عديدة في الاحياء المختلفة لكي يأكل فيها الفقراء المحتاجين بنصف او ربع ثمن عند مسيس الحاجة

المدارس والمكاتب الخيرية نافعة جداً ولازمة للبلاد . وهي من أهم اسباب رقيها — ليس من ينكر ذلك قط ولا يثبط العزيمة في الجنوح اليه . ولكننا ما رأينا فقيراً يدخل الى مكتبة او الى مدرسة لانه قبل ان يغذي عقله يحتاج الى ان يغذي جسده . وقبل ان يحتاج الى مكتبة يصرف وقت الفراغ فيها يحتاج الى غرفة ينام فيها

تجودون فالشكر لكم . ولكن لا تكونوا مرائين في جودكم ولا تتبجحوا فيه

نقولا الحداد

صوتُ صارخ في ربوع الشرق

أسكته المنون

تذكاراً لقاسم بك امين

« الخطبة الاخيرة التي القاها قبل ثلاثة »

« ايام من وفاته »

في ثلاث سنوات فقدت مصر ثلاثة من افاضل رجالها الذين يضنُّ الزمان بمثلهم . المرحوم الشيخ محمد عبده والمرحوم مصطفى باشا كامل والمرحوم قاسم

بك امين الذي نعته الجامعة (الجريدة) في احد اعدادها في الشهر الماضي نعياً يليق بمثله

أتى على قاسم بك امين يوم كان فيه أشهر رجل في مصر وهو يوم نشر كتابه (تحرير المرأة) وكتابه (المرأة الجديدة) وقد رمى فيهما الى أمر خطير في الشرق تراجعت عنه همم المصلحين المسلمين ولم يجترئ أحد منهم على الجهر به قبل الفقيد وهو رفع حجاب المرأة المسلمة والعناية بتهذيبها وجواز اشتراكها في عمل الرجال وبعبارة اخرى رفعها من درجة (كائن قاصر يحتاج الى وصيّ) الى درجة (كائن مستقل بنفسه يتولى زمام نفسه) في دائرة الشرائع الموجودة الاجتماعية والعيلية . فقامت يومئذ في مصر ضجة لم يقم مثلها قط . وما ذلك لانّ هذه المبادئ جديدة قد اكتشفها الفقيد اكتشافاً فثاروا عليها فانها كانت موجودة قبله كما يعلم قراء اللغة العربية واللغات الاجنبية . وكثيرون من كتبة المسيحيين الشرقيين قالوا بها وباكثر منها . ولكن الذي أثار تلك الجلبة الهائلة قيام مسلم فاضل من أعقل عقلاء المصريين ممن تحترم آراءهم الخاصة والعامة وهو من اكبر قضاة مصر وصبّه كل قوى نفسه وبلاغته في كتاب رمياً الى (رفع الحجاب) فلم تكن ترَ جريدة حتى الجرائد التي كانت على مذهب المؤلف سراً الا وهي مشحونة بالردود على قاسم بك امين والتهكم على آرائه حتى سبه والتعريض به في بعضها . ولم يكتفِ اصحاب الذوق البارد بذلك بل ان بعضهم زاروه في بيته واذ فُتحت لهم قاعة الاستقبال طلبلوا ان تجالسهم قرينته الكريمة كما تجالس سيدات المسيحيين الضيوف ,, عملاً بكتاب قاسم بك امين '' كما قالوا

ولقد قرأنا كتابي قاسم بك امين فكان اعجابنا شديداً بالجرأة التي ظهرت منه في هذا الامر وفي أمر آخر . فانه لما رأى ان ماضي التاريخ الاسلامي يحول دون اقتباس شيء كثير من ضروريات الحياة الجديدة ,, وذلك عند الجامدين

لا عند الاذكياء " صدم في كتابه ذلك الماضي صدمةً كصدمته للحجاب · ومن اقواله في هذا الصدد انه اذا لم يكن في المدنية الاسلامية القديمة ما نُطلب ادخاله الآن فما ذلك الا لان المدنية الاسلامية القديمة نشأت قبل قيام المدنية الحديثة ووجدت قبل نشأة جميع اصول العلوم والفنون ومبادئ السسيولوجيا · فكيف يمكننا ان نتخذها مثالاً للكمال البشري نحذو حذوه ونتلو تلوه وهي قد نشأت قبل نشأة اصول العمران الحقيقية · ثم قال هذا القول البديع ,, ان المدنية الحقيقية عبارة عن سير جميع الامم في طريق واحدة مرسومة اذ لا مدنية حقيقية خارج هذه الطريق " ثم قال هذا القول الهائل ,, ان الكمال البشري امامنا لا وراءنا "(١) قال هذا القول بعد ان أظهر انه لم يخلُ زمن من ازمنة التاريخ الماضي من الفظائع والجرائم والرذائل وان الكمال سيكون في المستقبل ولم يكن في الماضي · فكأنه بذلك وضع (الايديال) Ideal العلمي الادبي الاجتماعي فوق الـ Ideal الديني · وهذا أجرأ ما في كتابه على الاطلاق · ولكن منتقديه لم ينتبهوا اليه على ما يظهر

وفي يوم وفاته في مصر حوالي ٢٠ نيسان زار نادي دار العلوم في مصر تصحبه بضعة من الطالبات الرومانيات اللواتي وفدن على مصر لزيارتها والقى خطبة وجيزة باللغة الفرنسوية قال في خاتمتها ,, قرّب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المصريات المسلمات جالسات بجانب طلبتنا لجلوس زائراتنا بجانبهم يتباحثون جميعاً في المواضيع المفيدة "

وكانت وفاته بعد الانصراف من هذه الحفلة بداء السكتة على ما يُفهم من اخبار مصر · وقد ودّع الفضل والعقل قبل وفاته بثلاثة ايام بخطبة غراء القاها

(١) اكتب هذه المقالة في فول ريفر (ماس) وليس لديّ كتاب قاسم بك لمراجعة قوله على انني اضمن المعنى وان لم اضمن حرفيته

في عزبة سراوه (المنوفية) في احتفال حافل عقد فيها وشهده كثيرون من الاعيان اهتماماً (للجامعة المصرية) أي الكلية العلمية المنوي انشاؤها وكان الفقيد هو وصديقاه الحميان سعادتلو سعد باشا زغلول ناظر المعارف وسعادتلو احمد فتحي باشا زغلول وكيل الحقانية اول من قاموا بها . والمشاريع الخطيرة لا تقوم بها الا الهمم الكبيرة . وقد نشرنا هذه الخطبة بنصها لانها كانت آخر ما خرج من روحه الطيبة وهي حسبنا دلالة على مقام الرجل

نص الخطبة

قال بعد مقدّمة وجيزة

„ أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير في محله

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امتهم وتعظيم وطنهم اكثر من اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحة . لو كانوا يجودون للاعمال بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلادالاخرى أغنى جمعية في هذا القطر . ولكنها أفقرها جميعها

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة او وقف . من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب الجامعة شيئاً قليلاً لا يُذكر

ولولا ان عناية الجناب الخديوي ادركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعده الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشعور الوطني على نغمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم وجيوبهم ايضاً . في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا ونطلب ان تتحق فيه امانينا العزيزة . في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان انفع مشروع ظهر

في مصر ولد فيها ميتاً

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا أستطيع ان امنع نفسي من التصويح بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة ان يخفيه لشدة تواضعه وهو انه من اليوم الذي قبل فيه ان يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة العاملين فيها تحققنا ان النجاح صار مضموناً

أيها السادة . ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها. عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الامم وفتحوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان نقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

اذا أردنا ان ننفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء ان ننظر الى أنفسنا ونعرف قيمتنا ونزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا

يجب ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة أو يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعية انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه فهو تعب ضائع

أيها السادة . ان من أهم اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الا لاعداد موظفين أو أصحاب فن يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغني عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها أصحاب المدارس الخصوصية

والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيه للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال

وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها أمر التعليم العام بجميع فروعه ودرجاته واذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتمدنة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات عامية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

أيها السادة . نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للالتحاق بوظيفة بل نطمع ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى الاكتشاف المجهول . فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة . انا اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ (اكسب كثيراً واتعب قليلاً) ولا نجد فيهم العامل المحب لعمله أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتتمدد

فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها وانما نجد أفراداً قليلين . قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً ومن حين الى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية .

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسه وان اكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الاحساس الذين تهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . اولئك هم السعداء — الاشقياء الذين يتمتعون و يتألمون . اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادفة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي اليه أسرارها فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكيماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً

أيها السادة . ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالته وهو نتيجة من نتائج التربية الاولى . التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لا نهتم الا بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد المادية كعلاقات الاقارب والاصحاب . وليس من المنتظر ان تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغيراً محسوساً الا اذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز ان يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل . نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي نتمناها له فليس معنى ذلك انه مفقود في بلادنا . حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن أرضنا ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين ان حب التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم

محمد علي باشا الى الآن

ولي أمل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا انذار مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تصرف فيه لتتمتع بالتوازن اللازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب ان الامة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقي الادبي فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين وشكراً للاحقين في هذا العمل الصالح"

الفيلسوف نيبتش وفلسفته

فيلسوف كان له تأثير عظيم في افكار البشر في الارض
وقد حاول هدم اكثر المبادىء القديمة
الصحيحة والفاسدة

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته

نيبتش ضد دروين ور بما غلبه

ان مبدأ ,, تنازع البقاء " (١) مبدأ بسطه دروين ولكنه لم يثبت حتى الآن . واذا افترضنا وجوده — وهو موجود على ما يظهر — فانه لا يؤدي الى الغاية التي ذكرها دروين ونجترىء ان نود لو انه يؤدي اليها وهي (تغلب

(١) جرت تسمية هذا المبداء (تنازع البقاء) وأصله (التنازع من أجل الحياة) بدون معيشة الفرد وحياته